

منهج تفسير المنار في تربية القلب

شريف سلمى زاده

طالب دكتوراه قسم علوم القرآن والحديث في جامعة ايلام ، ايران

sharifsalemi@yahoo.com

سيد محمد رضا حسيني نيا (الكاتب المسئول)

استاذ مساعد في جامعة ايلام - قسم علوم القرآن والحديث - ايران

mohhos313@yahoo.com

مهدي اكبرنژاد

استاذ مساعد في جامعة ايلام - قسم علوم القرآن والحديث ، ايران

m_akbarnezhaad@yahoo.com

A Study on the Approach of Tafsīr al-Mīnār on educating the heart

Sharif Salami Zadeh

**PhD student of the Quran and Hadith Department at Ilam University ,
Iran**

seyed Mohamadreza Hoseininia

**Associate professor Department of Quran and Hadith sciences Faculty
of Theology and Islamic Teachings Ilam University , Iran**

Mahdi AkbarNezhad

**Associate Professor of the Quran and Hadith Department at Ilam
University , Iran**

Abstract:

Guidance and education, which are closely linked, could be counted among the most important characteristics of the Qur'an. Based on this fact, many scholars, researchers and commentators tried to uncover the Quranic educational approach and thus many educational commentaries have been arisen. Tafsīr al-Mīnār is considered one of the interpretations that were formed on this basis. Its authors pay great attention to the educational aspects of the Holy Qur'an. The heart is one of the most important and gentle parts of human, and its relation with other parts is like the relation of the ruler to other people as its correction and corruption leads to the correction or corruption of other organs of the human body. This research has analytically studied Tafsīr al-Mīnār's educational approach to the heart by analyzing it and has identified and introduced its method in educating the heart to acquire some virtues and avoid some vices; Based on this, it was found that many factors affect the educating and training the heart, including knowledge, repentance, taking refuge in the Qur'an and avoiding the temptations of Satan.

key words : al-Mīnār , heart , Abdu .

الملخص :

من أهم الخصائص القرآنية هي الهداية والتربية، بحيث ارتبطت الهداية والتربية بالقرآن الكريم ارتباطاً وثيقاً، وعلى هذا الأساس انطلق الكثير من العلماء والباحثين والمفسرين لكشف المنهج التربوي القرآني، ومن هذا المنطلق كتبت الكثير من التفاسير التربوية. فعلى سبيل المثال يعدّ تفسير المنار أحد التفاسير المهمة التي شكّلت على هذا الأساس، واهتم مؤلفيه اهتماماً بالغاً بالجوانب التربوية للقرآن الكريم.

يعدّ القلب من أهم وأخطر اللطائف الوجودية للإنسان، ويعتبر أهميته ودوره بالنسبة لسائر أعضاء الجسم كفضل وأهمية الحاكم ودوره بالنسبة لسائر الناس. فإنه إن صلح، صلحت الأمة وإن فسد فسدت وهكذا هو الحال بالنسبة للقلب.

تناول هذا البحث "منهج تفسير المنار في تربية القلب" لكسب بعض الفضائل ومعالجة بعض الأمراض التي يتعرض لها القلب، وعلى هذا الأساس تبين أن أمور عدة كالإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، تحصيل العلم، اللجوء إلى القرآن الكريم والتوبة وغيرها من الأمور لها التأثير المباشر في تربية القلب؛ كما أن هناك أمور تحول دون الوصول إلى الهدف المراد من تربية القلب ويجب الاجتناب عنها كوسوس الشيطان، الذنوب، النفاق، و... .

فعلى هذا الأساس إنقسمت الدراسة إلى مبحثين أساسيين. فتناول المبحث الأول دراسة "تربية القلب علي كسب الفضائل" في حين عرض المبحث الثاني دراسة "أمراض القلب وطرق الخلاص منها" وذلك من خلال المنهج الإستقرائي التحليلي.

الكلمات الرئيسية: منهج تفسير المنار ، التربية ، القلب .

المقدمة:

القرآن الكريم، باعتباره أهم وثيقة إرشادية للإنسان، كان دائماً موضع نظر المفسرين والباحثين، وقد حاول كل من المفسرين شرح بعض الزوايا الخفية لمعاني القرآن من أجل توفير قاعدة يستفيد منها الإنسان في كل جوانب حياته.

تم تفسير القرآن بطرق مختلفة ومن وجهات نظر مختلفة، وفي الواقع الأمر هناك عوامل عدة أدت إلي اختلاف آراء المفسرين في تفسيرهم للقرآن الكريم. ومن هذه العوامل، المصادر، والأدوات التي استخدمها المفسر في تفسير القرآن، والمناخ الثقافي، والجغرافيا التي يتكون فيها المفسر والتفسير، والإحتياجات والقضايا التي وقعت في مجتمع المفسر، وأمور أخرى جميعها لها تأثير كبير على أسلوب المفسر وطريقته في التفسير. ولهذا وحتى يومنا هذا ظهرت مذاهب وطرق تفسيرية عديدة ومختلفة للقرآن الكريم. (انظر: مقاتل، ١٤٢٣هـ.ق: ١/٥٠٠، قمي، ١٣٦٣هـ.ش: ٢/١٤٠، زمخشري، ١٤٠٧هـ.ق: ١/٤٥٦، طباطبائي، ١٣٩٠هـ.ش: ١/٩).

فلكل عصر خصائصه ومتطلباته، وهي تنطلق من الأوضاع الاجتماعية والمتغيرات الفكرية والمستجدات الثقافية الطارئة علي مفاصل الحياة في ذلك العصر.

ولكل عصر مشاكله وملابساته الناتجة عن تغيير المجتمعات والثقافات، وهو تغيير لايفنك عن مسيرة المجتمع التاريخية. المفكر الفاعل في الحياة الاجتماعية هو ذلك الذي فهم الضرورات والمتطلبات، وأدرك المشاكل والملابسات، وبعبارة أخرى هو الذي استوعب مسائل عصره.

أما أولئك الذين لا يدركون هذه المسائل اطلاقاً، أو لا يتفاعلون معها بسبب عدم انتمائهم إلي عصرهم، أي بسبب فقدانهم عنصر "المعاصرة"، فهم الهامشيون الذين لا يقدرّون علي التأثير ولا علي المعالجة، بل يقفون دوماً متأسفين ومتحسرين وشاكين ومنتقدين، ويزداد تشاؤمهم ويأسهم باستمرار حتي يقعوا في طامة "الإنزوا الاجتماعي". ذلك لأنهم ما استطاعوا أو ما أرادوا أن يستوعبوا احتياجات عصرهم ومشاكلهم.

رسالة العلماء في كل عصر أن يدركوا بوعي كامل هذه المسائل. هذه الإحتياجات، وهذا الفراغ الروحي والفكري والاجتماعي، وأن يسعوا لمعالجتها بشكل صحيح كي

لايفسحوا المجال للأطروحات المنحرفة أن تخترق الساحة وتملأ الفراغ وتقدم الحلول الكاذبة.

وفي الواقع من الواجب علي العلماء أن يواكبوا العصر و يأتوا بالجديد في كل عصر ليرووا عطش الجيل الراهن. ولا يخفي أن علم تفسير القرآن وتبيينه وفق العصر هو من الأمور الصعبة الدقيقة التي تتطلب علم ومجهود واسع من قبل العلماء المتخصصين في هذا المجال، وهذا أمر لا يمكن التخلي عنه. وبما أن الإنسان بشكل عام دون تحصيل العلم يكون مسيره في الظلام، وسوف تزل قدمه في كل خطوه، لهذا عليه التسلح بسلاح العلم وأن يواكب تقدم العصر وعلومه. وما أجمل ما قاله الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): «العالمُ بزمانه لا تهجمُ عليه اللّوابس» (الكليني، ١٤٠٧ هـ.ق: ٢٧/١).

وإن صعوبة فهم القرآن والحاجة إلى تفسيره هي نتيجة الفجوة الزمنية بين عصر الوحي وبين زمن المتلقي، فكلما بعدت المسافة الزمنية مع نزول الوحي كلما زادت الحاجة إلى تفسيره، بالنظر إلى ما عرّف القرآن الكريم نفسه بأنه كتاب هداية ودليل ورشاد (بقره: ١٨٥).

إن مئات التفاسير كتبت لحد الآن، وبلغات مختلفة، وبأساليب ومناهج متنوعة، منها الأدبي، والفلسفي، والأخلاقي، والروائي، والتأريخي، والعلمي، وكل واحد منهم تناول القرآن من زاوية تخصصه. وواضح أن كل هذه التفاسير في الوقت الذي تعتبر فيه تفسيراً للقرآن، إلا أنها ليست تفسيراً للقرآن، لأن كل واحد منها يميّط اللثام عن بعد من أبعاد القرآن لا عن كل الأبعاد. ذلك لأن القرآن كلام الله وفيض من علمه اللامتناهي، وكلامه مظهر لعلمه.

من هنا، لا ينبغي أن نتوقع استطاعة البشر إدراك جميع أبعاد القرآن، فالكوز لا يسع البحر. طبعاً مما لاشك فيه أننا نستطيع أن نعرف من هذا البحر الواسع بقدر سعة آنية فكرنا، ومن هنا كان علي العلماء فرض أن لايتوانوا في كلّ عصر وزمان عن كشف مزيد من حقائق القرآن الكريم، وأن يبذلوا جهودهم المخلصة في هذا المجال ما استطاعوا، عليهم أن يستفيدوا مما خلفه الأسلاف رضوان الله عليهم في هذا المجال، ولكن لا يجوز لهم أن يكتفوا به، فالرسول الله (ﷺ) قال عن كتاب الله العزيز: «لا تحصي عجائبه، ولا تبلي غرائب» (نهج البلاغه، الحكمة، ٢٥٩).

وبما أن هناك صلة حميمة ووثيقة بين التعليم والإرشاد، فقد تم في القرن الماضي تنظيم العديد من التفاسير تحت عنوان التفاسير الأخلاقية والتربوية. (انظر: كاشفي، ١٣٧٩ هـ. ش: ١٠/١، مغنيه، ١٤٢٥ هـ. ق: ٢٢٧). ومن هذه التفاسير تفسير "المنار" الذي قام بتدريسه محمد عبده وجمعه تلميذه رشيد رضا.

ومن المسائل التي تلمسها "محمد عبده" بوضوح، عطش الجيل في زمنه لدرك المفاهيم الإسلامية والمسائل الدينية. وإن هذا الجيل لا يتوق إلي الفهم فحسب، بل يلتهم ويتعطش إلي التطبيق العملي لهذه المفاهيم والمسائل، ولمس المعطيات الدينية من خلال العمل بها. وعلي هذا الأساس ومن هذا المنطلق كان الغرض الأساسي والرئيسي من تفسير القرآن لدي "عبده" هو "تثقيف الناس وإرشادهم". (انظر: رشيد رضا، ١٤١٤ هـ. ق: ٢٥/١).

فقد نشأ "محمد عبده" في زمن كانت الأمة الإسلامية فيه تتعرض للغزو، والسلب والنهب من قبل الاستعمار الأجنبي من ناحية، وتعاني من جهة أخرى من استبداد الأنظمة الفاسدة والديكتاتورية الغاشمة. وبما أن لكل عصر خصائصه ومتطلباته، وهي تنطلق من الأوضاع الاجتماعية والمتغيرات الفكرية والمستجدات الثقافية الطارئة علي مفاصل الحياة في ذلك العصر، رأى "محمد عبده" أن "التعليم" هو الحل الوحيد للتخلص من كل هذه المشاكل والمعضلات، ذلك التعليم الذي يحرر الإنسان من سطوة الجهل والظلم، ويربي العقل والقلب تربية تقضي علي شرّ الجهل وسطوة الجهال، وتضع سلم الرقي أمام طريق عطاشي العلم والمعرفة. وحسب رأيه فإن أهم وأفضل نوع من أنواع التربية هي تلك التربية الدينية التي تقود القلب البشري إلى إكتساب الفضائل، والإجتناب من الرذائل. تلك التربية التي لا تكون نتيجتها إلا ما يرضي الخالق جلّ وعلا وتُفرغ القلب مما تغضبه سبحانه وتعالى. (انظر: عماره، ١٤١٤ هـ. ق: ٣٠/٣). فالعلماء ومنهم "محمد عبده" يجدون في القرآن مايروي ظمأهم في الحقيقة، لذا يغرفون من بحره قدر آنيتهم، وتتسع الآنية باتساع دائرة السعي والجهد والإخلاص.

فالتفسير يمنح العيون قوة، ويقشع هن البصائر الحجب والأستار، ويمنحنا اللياقة لرؤية تلك الأبعاد والجوانب القرآنية. وفي الواقع للقرآن أبعاد تتجلي بمرور الزمان وتعاقب التجارب البشرية ونمو الكفاءات.

ونظراً لأهمية القلب بالنسبة للإنسان ونظراً لأهمية تفسير المنار ودور مفسريه في دعوات الإصلاح في الأمة الإسلامية، تسعى هذه الدراسة إلى معرفة "المنهج التربوي" لتفسير المنار في تربية القلب". فعلي هذا الأساس إنقسمت الدراسة إلي مبحثين أساسيين. فتناول المبحث الأول دراسة "تربية القلب علي كسب الفضائل" في حين عرض المبحث الثاني دراسة "أمراض القلب وطرق الخلاص منها" وذلك من خلال المنهج الإستقرائي _ التحليلي.

منهجية البحث:

قام الباحثون باتباع المنهج الإستقرائي _ التحليلي في هذه الدراسة حيث جمعوا الآيات ذات الصلة بهذا الموضوع وتصنيفها موضوعياً ، ثم دراستها من خلال تفسير المنار وسائر الكتب التفسيرية ومن ثم قاموا ببحثها وتحليلها وتبين أثرها في تربية القلب.

الدراسات السابقة

إن مادة هذه الدراسة " منهج تفسير المنار في تربية القلب" دراسة موضوعية حسب بحث و اطلاع الكاتب لم تتم دراستها و بحثها كما طرحت و بحثت في هذه الدراسة و ان هناك دراسات و بحوث تناولت موضوع القلب و هناك دراسات تناولت تفسير المنار سيتم ذكرها لاحقاً و كل هذه الدراسات لم تتناول منهج تفسير المنار في تربية القلب؛ تناولت التفاسير المختلفة دلالات مفردة القلب و العوامل المؤثرة في انحرافه. (انظر.ابوعبيده، ١٣٨١هـ.ق، ٨٧/١، كوفي، ١٤١٠هـ.ق، ٦٥١، صنعاني، ١٤١١هـ.ق، ٣١١/١، ابن قتيبة، ١٤٢٣هـ.ق، ٧٨، فراء، ١٩٨٠ م، ٢٠٦/١) كما كتبت رسائل دكتوراة كعبودية القلب في القرآن الكريم للباحث عبدالرحمن البرادعي من جامعة ام درمان قسم التفسير و علوم القرآن و مقالات كالشيخ الإمام محمد عبده وأثره في الفكر السياسي المعاصر للكاتب محمد مصباح، ايضاً الاتجاه السياسي في تفسير المنار للكاتبين عودة عبدالله ومحمود خضر سلوم، ايضاً كتبت دراسات عن دلالات القلب؛ (انظر.خاني، ١٣٩٨هـ.ش، ٨٠، دلبري، ١٣٩٥هـ.ش، ٩٠، سيدپورآذر، ١٣٩٠، ١٨) ومع ذلك، وبالنظر إلى تأثير تفسير المنار على التفاسير المعاصرة، وكذلك النظرة التربوية لهذا التفسير، فإن هذا المقال يسعى عن طريق الرجوع إلي "تفسير المنار" ودراسته، أن

يعرض ويبين "المنهج التربوي" الذي قام بإستخدامه لـ "تربية القلب"، و"دفع بعض الأمراض والانحرافات" التي يتعرض لها القلب، من أجل استخلاص "منهجه التربوي".

بيان المسألة:

لقد حظيت الجوارح الإنسانية باهتمام خاص في النصوص الدينية وخاصة في القرآن الكريم. هناك أسرارٌ تكمن في كيفية البيان وتبيين الأعمال التي تقوم الجوارح بها وتقديم بعضها علي بعض أو تأخير بعضها عن بعض . أما " القلب " وما يرادفه من الألفاظ فيحتل مكانة مرموقة بالنسبة إلي سائر الجوارح.

لقد تطرق القرآن الكريم عدة مرات إلى الأعضاء وجوارح الإنسان، والعناصر والمكونات التي تشكل الوجود البشري وبعض أفعالها ووظائفها. ومن الألفاظ التي ورد ذكرها بكثرة في القرآن الكريم هي لفظة "القلب"، بحيث تكررت إفراداً، وتثنية، وجمعاً، أكثر من مئة وثلاثين مرة (أنظر:عبدالباقي، ١٣٦٤هـ.ش: ٥٤٩-٥٥١). وقد عرّف القلب في هذه الآيات بأنه محل الإيمان والشرك، والكفر، والقسوة، والتواضع، والرؤية، والشك والخوف، ... (انظر.آل عمران/١٥١، انفال/١٢، بقره/٧٤، فتح/٤، نساء/١٥٥، حشر/٢). كذلك وإلي جانب القرآن الكريم، أعطت الأحاديث الواردة من الرسول الأعظم (ﷺ)، والائمة المعصومين (عليه السلام) اهتماماً بالغاً بـ"مصطلح القلب"، كما إهتم العلماء، والحكماء، والمتصوفة والشعراء بهذا المصطلح بحيث أصبح مفهوماً لاصقاً بالتراث الإسلامي. ولا يخفي أن هذا الإهتمام البالغ من قبل القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بهذه المفردة يجعل الإنسان أكثر شعفاً وعطشاً للتعرف علي الآراء والنظرات والأفكار الإسلامية لدي العلماء في هذا المجال.

وقد دارت نقاشات كثيرة بين مفسري القرآن حول المعنى القرآني لـ"القلب". وقد فسر البعض القلبَ على أنه "قطعة لحم" على شكل صنوبر في صدر الإنسان. (انظر. ابن جوزي ، ١٤٢٢هـ.ق:١/٣٠، رازي، ١٤٢٠هـ.ق: ٢٤/٥٣١، قرطبي، ١٣٦٤ هـ.ش: ١/١٨٧)، وفسرها البعض الآخر على أن المقصود منها "العقل" (انظر. طبري، ١٤١٢هـ.ق:١/٩٠، سمرقندي، ١٤١٦ هـ.ق:١/٢٤ ابن عاشور، ١٤٢٠هـ.ق: ١/٢٥٢، فضل الله، ١٤١٩هـ.ق:٢٣٩/٤). وقال البعض الآخر بأن مفردة القلب التي وردت في

القرآن الكريم مردافة للفظه "الروح" (انظر: ابن عربي، ٢٠٠٩م: ١٠، سلطان شاه، ١٤٠٨هـ.ق: ٥٥/١).

في حين إعتبر صاحب المنار لفظه "القلب" في تفسيره الذي نحن في صدد دراسته في ما يخص القلب وتربيته علي أنها مرادفة لـ "العقل" «من المعتاد أن يفسر العرب العقل على أنه القلب، ولعل السبب في هذا التفسير أن آثار الضمير تظهر في القلب والدافع لكل شيء هو الضمير» (رشيد رضا، ١٤١٤هـ.ق: ١٥٣/١). أي هي بمعنى الفهم والإدراك: وقد نطقت بهذا المعنى العديد من الآيات القرآنية مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَافِقُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٩). فالله تعالى يصف حال الكافرين من الإنس والجن بأن لهم عقول لا يستخدمونها لفهم الأمور وإدراكها على حقيقتها، ولهم أبصار وكأنهم لا يبصرون بها، ولهم أذان وكأنهم لا يسمعون بها. وفي مشهد آخر قال تعالى: ﴿وَطُيْعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (التوبة: ٨٧).

والظاهر أن القلب في آيات مختلفة من القرآن الكريم قد أتى بها بكل المعاني المذكورة، ولم يرد في القرآن الكريم ذكر القلب بما يراد به المضغ الصنوبرية التي تضح الدم، بل يكون ذكره بما يراد به الأمر الثاني، وهو العقل والتعقل والفعل والانفعال. قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا لَا تَعْمَىٰ الْأَبْصَرُ وَلَكِنَّ تَعْمَىٰ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج: ٤٦). فهذه التعبيرات "يفقهون بها"، "يعقلون بها"، "تعمي القلوب"، لا تناسب القلب بمعناه الصنوبري الذي هو آلة صماء لا تعقل ولا تفقه ولا تعمي، بل يناسب المعنى الآخر للقلب وهو تلك اللطيفة الروحانية التي لا يعلم حقيقة خلقها إلا الله، المدركة للخير والشر والمنفصلة به.

هذه الدراسة ليست بصدد البحث عن دلالات كلمة "القلب"، وقد كتب المفسرون والعلماء عن هذا المعنى بإسهاب؛ وإن كان هناك خلاف حول طبيعة القلب ومعناه، إلا أنه لا خلاف حول وظائف القلب، وحول أنه هو "مركز الجسد" و"موطن الكفر

والإيمان". يقول تعالى في سورة النحل: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ (النحل: ١٠٦)، ويقول في سورة المجادلة: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ (المجادلة: ٢٢)، ويقول في سورة الحجرات: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات: ٧)، وقال في سورة الحجرات أيضاً: ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات: ١٤).

وكما هي موضع الإيمان فهي موضع الريب، والشك والرفض، قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ (آل عمران: ٨). إذا القلب هو الذي يأخذ الأمر بالتصديق أو التصديق الجازم أو الشك. في الواقع "القلب" هو أساس الوجود البشري. وقد تمت مناقشة "القلب" واستعمالاته المختلفة في الروايات الواردة من المعصومين (عليه السلام)، والبحوث الإسلامية. ووفق الروايات التي وردت عن الرسول الكريم (ﷺ) فإن القلب يعمل مثل القائد؛ كلما تم تربيته وإصلاحه، صلحت الاعضاء والجوارح الاخرى «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب» (المجلسي، ١٤٠٣هـ.ش: ٢٣/٦١) لذلك كلما استنار القلب بنور التوحيد ومعرفة الله والتوكل عليه، إتجه الإنسان بصدق إلى عبادة الله.

ونظرا لأهمية القلب وتربيته، ودوره العظيم في تحديد مصير الإنسان في الدنيا والآخرة، كونه مصدر الإيمان والتوحيد أو الكفر والنفاق وفقا لما دلت العديد من الآيات القرآنية الكريمة علي ذلك. وبما أن تصحيح القلب وتربيته يؤديان إلى تصحيح تصرفات الإنسان، فقد حدد القرآن صحة القلب سبباً لدخول الجنة: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء: ٨٩). لذلك فإن تربية القلب وإصلاحه، وإلي ذلك طرق الإصلاح والتربية مهم للغاية. ومن المؤكد أن أهم قضية في عملية التعليم هي أن يكون هناك أسلوب ونموذج تعليمي صحيح، بحيث يؤدي بالقلب إلي الطريق الصحيحة والصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

ومما لا شك فيه أن أفضل الطرق للتربية وانجعها هي التي عرفها القرآن الكريم، لأن القرآن الكريم، هو أهم وثيقة إرشادية وتربوية للإنسان. وفي الواقع الغرض الأساسي والمغزي الرئيسي من التعليم القرآني هو جعل الإنسان صالحاً غير طالح، ووضعه على طريق العبادة الإلهية الصحيحة. ولا يكون هذا إلا بإصلاح القلب والعقل بالقرآن. فالقلب، أي العقل الصالح والمربي بالتربية القرآنية ذلك الذي يعبد به الرحمن ويكسب به الجنان.

إن مؤلفي تفسير المنار نظراً لإهتماماتهم التربوية والاجتماعية، ورؤيتهم في تربية وإصلاح الفرد والمجتمع، حاولوا تقديم حلول لتثقيف الفرد وتربية المجتمع على أساس آيات القرآن الكريم، كما اهتموا بالقلب وتربيته اهتماماً بالغاً، لذلك، فإن التعرف على نهجهم التربوي المستمد من القرآن الكريم وكذلك التقلبات والمنعطفات التي مروا بها من شأنها أن تكون مفيدة للتعرف على التربية الإسلامية، ومن ثم عرضها وتقديمها للإستفادة منها.

بال تأكيد أن التربية الإسلامية بسبب مبدئها الإلهي تتفوق على غيرها من المدارس التربوية بميزات كثيرة، ولعل أهم ما يميز التربية الإسلامية هو الأهمية الكبرى التي يوليها الإسلام للبعد الروحي للإنسان. وقد جاءت مفردة "القلب" ومفردة "الروح" من أهم المفردات التي تشير إلى البعد الروحي للإنسان في القرآن الكريم. وكذلك وردت كلمات أخرى في القرآن الكريم كـ "الفؤاد"، و"الصدر" و"الفكر" للإشارة إلى هذا المعنى لـ "القلب". وعليه فإن القلب في هذا البحث، هو المفردة بكل معانيه القرآنية.

فقد اعتقد "عبده" أن الله سبحانه وتعالى، هو أول وأفضل معلم للإنسان. وأنه جلّ وعلا الله يقوم بهذه التربية لمجرد النعمة والرحمة بحق عباده، وليس من أجل جلب فائدة لنفسه، أو صد الأذى عنها(انظر: رشيد رضا، ١٤١٤هـ.ق: ٥١/١).

من الأسئلة التي تطرح نفسها في هذا المضمار هي ان ماهو منهج "تفسير المنار" في تربية القلب لكسب الفاضائل؟ و ايضاً ماهي مقارنة تفسير المنار لتربية القلب للإجتنا من الأمراض التي يتعرض لها القلب و كيف يساعدنا فهمنا لهذه المقاربات على التعرف على التربية الإسلامية؟

إن التربية السليمة، هي التي تحقق التوازن في حياة الإنسان فتعطي كل جانب فيه من التربية ما يوصله الى كماله ليؤدي واجبه و مسؤوليته ويقوم بها بأفضل شكل ممكن. فالقلب عنصر هام من عناصر تكوين الإنسان، وهو العنصر الذي لا يصل إلي كماله إلا عن طريق التربية المستمدة من المنهج الإلهي.

والجدير بالذكر أن دراسة كل من الصفات الحسنة للقلب تتطلب بحثاً مستفيضاً، كما أنه تمت معالجة العديد من الصفات الحسنة للقلب في العديد من الدراسات والتفسيرات، وكذلك الصفات السيئة، أي تمت دراسة الفضائل والرذائل المختصة بالقلب.

ومن أجل استخلاص المنهج التربوي لتفسير المنار في تربية القلب وإصلاحه، تناولت هذه الدراسة بعض الأفعال التي يكون موطنها القلب. والقلب عند "محمد عبده" هو المحرك لجميع البدن، فصلاح البدن في صلاحه وضياعه في ذهابه.

تتجلى عملية التربية الإسلامية للقلب بطريقتين: في أحد أشكال هذه التربية، يتم تربية القلب علي كسب الفضائل، وفي الشكل الآخر من أشكال التعليم، يتم تدريب القلب على الابتعاد عن بعض صفات القلب وسيئاته. وسيتم البحث عن النوع الأول من التربية أولاً، والقسم الثاني لاحقاً.

أ- تربية القلب علي كسب الفضائل:

١- الأعتقاد بالله والعالم الآخر:

مفردة الإيمان أصلها من "آمن، يؤمن، إيماناً"، وتعني الاعتقاد والتصديق القلبي (انظر: ابن منظور، ١٤١٤هـ.ش: ٢١/١٣، راغب، ١٤١٢هـ.ق: ٩٠، قرشي، ١٣٧١هـ.ش: ١٢٥/١)؛ موطن الإيمان القلب (انظر: طبرسي، ١٤١٢هـ.ق: ٤١٣/٣، قرطبي، ٥١٣٦٤هـ.ش: ٢٨١/٤، شرييني، ١٤٢٥هـ.ق: ٢٩٤/٢، حقي، بي تا، ٩٣/٩، اشكوري، ١٣٧٣: ٢٢٥/٤). إن مبحث الايمان أهم مبحث فكري في مجال الدين. وقد بحثت التيارات الفكرية المختلفة في الإسلام هذه المسألة، وطرحت آراء متعددة حوله. وقد ذهب الروايات الواردة عن رسول الله (ﷺ) وعن الأئمة المعصومين (عليه السلام) إلي أن الإيمان مزيج من التصديق القلبي، والاقرار باللسان، والعمل بالجوارح، وإن حقيقة الايمان تتألف من كل هذه العناصر. كما أنه يعتبر العمل جزءاً من حقيقة الايمان.

يعتقد "عبده" أن الإيمان نوعان: «الإيمان الناتج عن التقليد، والإيمان القائم على العقل والأسباب المنطقية التي تنشأ نتيجة التربية؛ والإيمان الناتج عن التقليد ليس له تأثير على القلب والضمير وليس له سند جدلي ولا ينعكس في أفعال البشر وعباداتهم، ولا يلتفت الله إلى هذا النوع من الإيمان» (رشيد رضا، ١٤١٤ هـ.ق: ١/١٥٤).

إن الإيمان بالله ويوم القيامة من أهم العناصر في دعوة الأنبياء. يؤكد "عبده" على الطبيعة الفطرية للإيمان ويعتبر عودة الإنسان إلى الله أثناء المصاعب والمتاعب دليلاً على كون الإيمان امرأً فطرياً؛ فالتوحيد غريزة تجعل الإنسان يتنبه إلى الله في المصاعب، ويدرك الإنسان حماية الله له ورعايته، لكن الجشع والحرص وحب الدنيا والإهتمام بها يجعل الكافرين يتعدون عن الله، فالطبيعة البشرية غير متوافقة مع الكفر وإذا ابتعد الإنسان عن الله مرض قلبه. (انظر: نفس المصدر، ١١/٣٣٧).

ومن المؤكد أن أنوار الإيمان الأولى التي تنشأ من خلال التأمل في الآيات الإلهية محلها القلب. عندما يتأسس الإيمان في القلب، يتم توفير أرضية خلاص الإنسان من الإنحرافات، وتؤكد الروايات علي أنه إذا صلح القلب وبر، صلحت وبرت الأعضاء الأخرى؛ (انظر: الصدوق، ١٩٨٤ م: ١/٢٢٧، ابن الجوزي، ١٤٠٤ هـ.ق: ٧/٢١٣)، علي سبيل المثال سئل الإمام علي بن ابيطالب (عليه السلام) عن معني الإيمان فقال: «الْإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ وَ قَرَارٌ بِاللِّسَانِ وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ» (نهج البلاغه، الحكمه، ٢١٨)، هذا السرد يكشف بوضوح تأثير الإيمان على عمل الأعضاء الأخرى.

كانت هناك بعض الإمم تمن علي انبيائها أنها آمنت بالله. وكانوا يتصورون أن لأنفسهم حقوق خاصة، وأحياناً ينعنون أنفسهم بأبناء الله (المائدة: ١٨). و رد القرآن الكريم علي هؤلاء في مواضع عدة: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ أَسْلَمْتُ عَلَى اللَّهِ يَحْمِلُ اللَّهُ أَوَّلَ ثِقَلٍ خَلْقَهُ وَمَظْهَرَهُ﴾ (حجرات: ١٧).

بين تفسير المنار السبب الأساسي والرئيسي في تفضيل المؤمنين على غيرهم. وحسب رأي مفسري المنار ليس لهذا التفضيل أي دليل قومي أو شعوبي يرتبط بشعب دون شعب، بل العامل الأساسي لهذا التفضيل، هو الآثار التربوية التي تترب علي الإيمان وتجعل الإنسان يقوم بالأعمال الصالحة «لأن الكلام في معاملة الله تعالى لكل الفرق أو

الأُمم المؤمنة بنبي وحي بخصوصها؛ الظانة أن فوزها في الآخرة كائن لا محالة لأنها مسلمة أو يهودية أو نصرانية أو صابئة مثلاً، فالله يقول إن الفوز لا يكون بالجنسيات الدينية وإنما يكون بإيمان صحيح له سلطان على النفس، وعمل يصلح به حال الناس، ولذلك نفى كون الأمر عند الله بحسب أمانى المسلمين أو أمانى أهل الكتاب، وأثبت كونه بالعمل الصالح مع الإيمان الصحيح» (رشيد رضا ١٤١٤ هـ.ق: ٣٣٦/١).

قوى التوحيد في بداية الإسلام قلوب المسلمين، وجعلهم يشعرون بعزة نفس وثبات. ونشر النبي (ﷺ) بمساعدتهم الإسلام وثبت الحق ونشر العدل (انظر: رشيد رضا، ١٤١٤ هـ.ق: ٢١٠ / ١١)، وهذا يعود إلي أن الإيمان يجعل المؤمن يستعد بكل قوته لمحاربة الكفار، وفي هذا المجال لا يدخل قلبه خوف ولا وجل؛ فالقوب السليمة، قلوب متآلفة متحابّة، وهذه صفة لقلوب المؤمنين الذين توحدت كلمتهم بعد أن لبوا نداء الله فأمنوا برسوله. وعندما تألفت قلوبهم فقد ارتبطت برباط الأخوة والمحبة وهذا ما أكدته آيات القرآن الكريم ﴿فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (آل عمران: ١٠٣).

ومن ناحية أخرى، فإن أهم جانب من جوانب الإيمان، هو الإيمان باليوم الأخير، لما لهذا الإيمان من تأثير على تقويم القلب وتربيته، فقد أولى عبده أهمية كبيرة لهذا الإيمان، وأعلن أهميته في مختلف الآيات، والسبب في ذلك أن الدليل الرئيسي لعدم قبول دعوة الأنبياء (عليه السلام) من قبل العصاة هو إنكار يوم القيامة والتعلق بالدنيا.

يقدم عبده في تفسيره الآيات الأولى من سورة يونس على أن الإهمال ليوم القيامة أو إنكارها هو السبب الرئيسي في المواقف الخاطئة في الحياة؛ وتبدأ بداية إصلاح الإنسان بإحساس بالمسؤولية تجاه الله وقبول هذه الحقيقة أن حياة الإنسان ليست بلا حساب وكتاب؛ فالحديث عن يوم القيامة يؤدي إلى قبول وممارسة بعض العقائد، كما أن الإيمان بالآخرة يتسبب في ترك بعض الأمور. (انظر: رشيد رضا، ١٤١٤ هـ.ق: ٢١٣-٢١١). والذين لا يتوقعون لقاء الله ولا محاسبة أعمالهم بسبب إنكار القيامة، يكتفون بحياة الدنيا ولا يشاركون في الجهاد والأعمال التي أمر الله بها، وتستقر قلوبهم في حب الدنيا وزينتها وشهواتها؛ (انظر: نفس المصدر، ٣٠٧/١١)؛ وبحسب رأي "محمد عبده"، فإن السبب الرئيسي لسقوط الإنسان في حضن الخطيئة هو الغفلة، ومما لا شك فيه أنه إحياء

ذكرى يوم القيامة يلعب دوراً مهماً في القضاء على هذا الغفلة. (انظر: نفس المصدر، ٣٠٨).

ايضاً في تفسيره للآية ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (بقره: ٢٠٣) يعتبر الوعي بوجود الآخرة عاملاً فعالاً في تحفيز النفس والقلب على العمل. (انظر: رشيد رضا، ١٤١٤هـ.ق: ٢/٢٤٤) وعليه، بما إن الإنسان كثير النسيان، لا بد من تذكيره دوماً بيوم القيامة، ليصحو قلبه من نوم الغفلة؛ فإن معرفة الله وذكره والإيمان بالآخرة يغير موقف الإنسان من الحياة ويؤثر على تصرفات الإنسان وسلوكه، بينما لا يمكن للقلب المتشكك أن يستمر في فعل أي شيء. إن القلب المؤمن لديه هدف إيماني، ودافع للإصرار على فعل الخير، كما أن ذكر الله والقيام بخطوات، تقوي معرفة الله في قلب الإنسان وتقضي على إهمال الآخرة.

٢- الإخلاص:

الإخلاص لغةً يعني تصفية العمل، وتنقيته عن غيره، وفي الإصطلاح الديني، يعني خلوص العبادة لله سبحانه و تعالى؛ (انظر: الفراهيدي، ٢٠٠٢م، ٣/١٢٧، زبيدي، ١٩٦٩م: ٢٩/١٦٠، تهانوي، ١٩٩٦م: ١/١٢٢). "الإخلاص" نقيضه "الرياء"، وهو أحد أعمال القلب؛ إخلاص القلب، يعني خلوه من كل ما هو لغير الله جل وعلا، حتى تصير كل أعمال الإنسان خالصة لله سبحانه وتعالى. (انظر: الرازي، ١٤٢٠هـ.ق: ٥/١٨٧، آلوسي، ١٤١٥هـ.ق: ٥/١٧٦، مراغي، د.ت: ٢/١٧٦، تستري، ١٤٢٣ هـ.ق: ٢٠١)

الإخلاص يجعل الإنسان أن يؤدي وظائفه وخاصة العبادة منها، بشكل جيد وبطريقة كاملة (انظر: أبو زهره، د.ت: ٤/١٧٥). في كثير من آيات القرآن الكريم التي أمر الله - تبارك وتعالى - الرسول الكريم (ﷺ) بالعبادة، كان أمر العبادة هذا مصحوباً بالإخلاص؛ (انظر: البينه: ٥، غافر: ١٤ و٦٥). لذلك فإن العبادة التي يقصدها الله جل وعلا هي العبادة التي تؤدي بإخلاص، ومصحوبة بإخلاص، وهذا يدل على أهمية الإخلاص، لا شك أن وادي الإيمان هو وادي الخضوع والإخلاص.

يعتبر "عبده"، الإخلاص، العامل الأساسي في مواجهة إغراءات الشيطان، فالقلب المزين بالتقوى والإخلاص على غرار الجسم السليم والقوي المحصن أمام الفيروسات والجراثيم، محصن أمام الإغراءات الشريرة والشيطانية وهذه الإغراءات ليست لها مكاناً في القلب المتقي. (انظر: رشيد رضا، ١٤١٤هـ.ق: ٣٦٥). ووفقاً لما ذهب إليه "عبده"، فإنّ الإخلاص في القلب هو بوابة العمل الصالح، ويحمي القلب من الغفلة، ومن شكر الله بإخلاص لن يدخل قلبه الشيطان. (انظر: رشيد رضا، ١٤١٤هـ.ق: ٣٩٤/٢).

يري "عبده" في تفسيره للآية السابعة من سورة الضحى، بأنّ "الإخلاص" عاملاً رئيسياً وأساسياً في تحرك النبي محمد (ﷺ) من أجل هداية الناس، «وانما هي الحيرة تلمّ بقلوب أهل الاخلاص، فيما يرجون للناس من الخلاص وطلب السبيل إلى ما هدوا اليه من انقاذ الهالكين، وإرشاد للضالين، وقد هدى الله نبيه الى ما كانت تتلمسه بصيرته باصطفائه لرسالته» (نفس المصدر، ١١/١٩٤) وعليه، فإن المخلصين، بسبب العطف والرحمة التي في قلوبهم، لا يصلحون أنفسهم فحسب، بل يصلحون ويهتمون بالآخرين أيضاً.

وحسب رأي مفسري المنار، أنّ أمرين أصليين، من أهم أسباب تشريع الأديان: أحدهما: تصفية الأرواح، وتخليص العقول من شوائب الاعتقاد بالسلطة الغيبية للمخلوقات، وقدرتها على التصرف في الكائنات، لتسلم من الخضوع والعبودية لمن هم من أمثالها، أو لما هو دونها في استعدادها وكمالها. وثانيهما: إصلاح القلوب بحسن القصد في جميع الأعمال، وإخلاص النية لله وللناس. فمتى حصل هذان الأمران انطلقت الفطرة من قيودها العائقة لها عن بلوغ كمالها في أفرادها وجمعياتها. (انظر: نفس المصدر، ٣/٢٥٨).

ومما لا شك فيه، أنّ كيفية فعل الحسنات يسبق كثرتها، والعمل يقاس بالتنوع لا بالكمية. والإخلاص أهم جانب من جوانب جودة العمل. والعمل الذي يفتقر إلى الإخلاص ولا يتم وفقاً لما أمر به الله لن يفيد الإنسان بشيء. فالإخلاص هو مخ العمل.

٣- العبادة :

إن ذكر الله سبحانه وتعالى، بالإضافة إلى ما له من الأجر والثواب في الآخرة، إلا أنه يجعل قلب الإنسان قوياً. فيجد الإنسان الله نصيراً له، وملجأ ومأواه، وهذا ما أشارت

إليه الكثير من الآيات والروايات. (انظر: الكليني، ١٤٠٧هـ.ق: ٢/٢٦٦، صدوق، ١٣٦٣هـ.ش: ١٢/٢٦٠).

إن القلوب تحيي بذكر الله، بحيث وصفت بعض الروايات "ذكر الله" بحياة القلوب. (انظر: المجلسي، ١٩٨٣م: ٣٠٤/١٤). وصف القرآن الكريم الكفار بأنهم ميتوا القلب، لأنهم حرموا من معرفة الله الحق والوصايا الإلهية، ونتيجة لذلك حرموا من الإيمان والهدى.

وقد ذكر صاحب تفسير المنار، حالات كثيرة في التعبير عن أثر العبادة وذكر الله في تربية القلب، منها: أنه يعتقد بأن ذكر الله مما يقوي التوحيد، والعبادة والخضوع لله في القلب. (انظر: رشيد رضا، ١٤١٤هـ.ق: ٢/٤٤٥)، كما أن ذكر الله يقوي الإيمان بربوبية الله وعظمته. ومن أدام ذكر الله، وجعله نصب عينه، وكان خائفاً وجللاً منه جل شأنه، لا يدخل الخوف والهلع قلبه (انظر: نفس المصدر، ٢/٤٤٥).

يجدر القول بأنه ليس كل خوف يستحق اللوم، وقد يكون الخوف والشعور به، مما يجعل الشخص أن يسعى للدفاع عن نفسه، لأنه إذا كان الشخص ممن لا يعتريه الخوف ولا يعاني منه، فإنه لن يشعر بالحاجة أبداً للدفاع عن نفسه ضد الأعداء والأخطار والهوال. وهذا ما يجعل الإنسان عرضة للأعداء والأخطار الطبيعية والبشرية.

إن ذكر الله جل وعلا، يمنع من أن يخترق الشر القلب، ويثبت في القلب الصفات الحسنة مثل الرحمة والمعرفة والحكمة والنعمة، التي هي انعكاس لصفات الله جل شأنه (انظر: نفس المصدر: ٥/٣٨٤).

وإن الخوف الذي يقعد بالإنسان عن العمل ويوهن القلب ويضعفه، لا يفيد العبد ولا يجديه ولا ينفعه بشيء، بل الذي ينفعه حقيقة، هو استقبال السير وبذل الجهد والتشمير في العمل. (ابن قيم، ١٣٩٤هـ.ق: ٣٦٠).

فإن الذكر يجعل الإنسان أكثر خشوعاً وأكثر احتقاراً للمصائب والمشاكل التي يتعرض لها في الحياة. وفي الواقع للذكر الخالص فوائد كثيرة في تغذية الإيمان، ومراقبة الله تعالى وحبه، والخشوع له والرغبة فيما عنده واحتقار مصائب الدنيا وقلة المبالاة والتألم لما يفوت المؤمن من نعيمها. (انظر: رشيد رضا، ١٤١٤هـ.ق: ٩/٤٣٢).

خلافاً لعقيدة أتباع بعض الديانات التي ترى أن ضنك الجسد وحرمانه من ملذات الدنيا، هو أساس الدين، يري الأسلام أن موطن التقوى هو القلب، والأساس هو إصلاح القلب، وليس حرمان الجسم. بعبارة أخرى، فإن مكتب الإسلام، فضل العبادات القلبية على العبادات اللسانية والظاهرية، وشدد على الأعمال التي ترتبط بالقلب، وأكد أن لا تكون العبادة سطحية. لأن العبادة السطحية وغير العميقة لا تجدي نفعا لا في الدنيا ولا في الآخرة. وما لاشك فيه أن أهم فائدة العبادة، هو "تقويم القلب". (انظر نفس المصدر، ٢/٢٤٤).

وقد أمر الإنسان أن يذكر الله دائماً، لأن ذكر الله يساعد علي تربية القلب، وإن كان بعض الناس غافلين عن هذه الفضيلة. وقد ذكر الله جل وعلا في محكم كتابه: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨). وقد حصرت هذه الآية المباركة "إطمئنان القلب" بـ "ذكر الله". وجاءت الآية المباركة بعدة تأكيدات، منها أداة التنبيه "ألا"، وتقديم مفردة "ذكر"، لتثبيت المعني، وبيان أهمية الذكر بالنسبة لتقويم القلب وإطمئنانه. وفي تقديم مفردة "الذكر" علي لفظ "الله"، إشارة إلي أن "الذكر" المقصود منه، هو الذكر الإلهي، وليس كل الذكر. فالذكر الذي محمود، والذي ينص عليه القرآن الكريم، هو الذي مصحوب بـ "الله" جل وعلا. فهذا النوع من الذكر، هو الذي يجلب القوة، والإطمئنان، والراحة لقلب الإنسان ولاغير. فالذي محمود هو "ذكر الله" دون سواه من الأذكار. ففي الآية المباركة، "حصر" و"إختصاص"، أي لا يكون الإطمئنان إلا بذكر الله جل شأنه. فـ "تقديم ما حقه التأخير" في الآية المباركة، أفاد الحصر. وبحسب الروايات الواردة، فقد خص الله جل وعلا لكل عمل أجراً معيناً يختص بالعمل نفسه، وإذا لم يكن الإنسان قادراً علي القيام بهذا العمل، فسيتم إعفائه من هذه المهمة، باستثناء "ذكر الله"، الذي لم يخصص له أي أجر، ولا هناك عذر يعفى الإنسان منه. (انظر: نفس المصدر، ٥/٣٨٢). والإنسان الذي يكون ذكر الله جل وعلا نصب عينه، تستوطن الطمئينة قلبه، وتنمو فيه القدرة علي التفكير، ويلج قلبه كلام الحق والصواب دون استئذان. فيكون ممن يستمعون الكلام فيتبعون أحسنه. ولا يجد الصواب صعوبة في دخوله هذا القلب السليم.

وأهم أثر العبادة علي القلب هو نزول الطمأنينة، وإفراغ القلب من الشكوك الذي تعثره في بعض الأحيان. وهذا ما يسبب نشاط وحيوية للإنسان. وكذلك مما يجدر أن يذكر، هو أن الأذكار، كالصلاة، فإنها تقوي قلب الإنسان ضد المتاعب المستقرة، وتزيل الحزن والأسى عنه، وتصبح عاملاً من عوامل صحة القلب. وبحسب ما تقدم، اتضحت مكانة "الذكر" و"العبادة" في تربية القلب في منهج تفسير المنار التربوي، وهذا لما للذكر من أثر البالغ والمؤثر في إيجاد روح التواضع في القلب. وهذا التواضع الكامن في القلب يسري في سلوك الأجزاء الأخرى من جسم الإنسان. وكما أشار آخف فإن صلاح البدن والروح، من صلاح القلب، وفساده من فساد. فإن فسد القلب، فسدت الروح، وفسد الجسم، وإن صلح، صلح الجسم والروح.

٤- تحصيل العلم:

إن العلم هو أساس ومنطلق معرفة الحق وسلوك الصراط المستقيم، وهو المصباح الذي يضيء للإنسان الطريق كي يتعد عن الشبهات والشهوات والأهواء. ولذلك إذا لم يصاحب العلم إخلاص وتقوى وخشية يدفع بها الهوى لم يكن للعلم فائدة، بل يصبح وبالاً على صاحبه قائداً له إلى نار جهنم. ومرد ذلك أن الحق يتضح للعالم فيتنبه متعمداً؛ لهوى وشهوة في نفسه. وليزكو العلم ويعود بالنفع على صاحبه ويقوده إلى الفلاح في الدنيا والآخرة، ينبغي ربطه بعمل القلب. والقرآن الكريم يبين تلك العلاقة العضوية بين "العلم النافع" و"عمل القلب" في قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الحج: ٥٤).

ومعنى الآية الكريمة أن الذين أوتوا العلم النافع الذي يفرقون به بين الحق والباطل متيقنون أن ما أنزله الله تعالى على نبيه (ﷺ) هو الحق، فيصدقوه وينقادوا له؛ لأن القلب هو موطن الإقرار والخضوع والإخبات لله، عز وجل (انظر: ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، ٤/٤٤٦).

وفي السورة نفسها يفسر القرآن الكريم الإخبات في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهُمْ كَافِرُونَ وَلَهُ أَسْلَمُوا

وَيَذَرُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٥﴾ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٦﴾ (الحج: ٣٥ - ٣٦).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: ٢٨)؛ أي يخافه ويخشاه حق خشيته، العلماء الربانيون العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة القلبية للخالق البارئ فاطر السموات والأرض، العليم القدير، الموصوف بصفات الكمال والمتفرد بنعوت الجلال أتم والعلم أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر.

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) في حديث لـ "عنوان البصري" يا أبا عبدالله «ليس العلم بالتعلم، إنما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه فإن أردت العلم فاطلب أولاً في نفسك حقيقة العبودية واطلب العلم باستعماله واستفهم الله يفهمك...» (المجلسي، ١٩٨٣ م: ٢٢٥/١).

وخلاصة القول: إن القلب موضع الإيمان والنية والعمل؛ لأن كل حركة أو موقف لا يكونان إلا بإرادة قلبية. ولذلك ينبغي أن نعتني بأعمال القلوب، ونضعها في أعلى سلم الأولويات، ونهتم بتزكية قلوبنا وترويضها على الصدق والإخلاص والإخبات والرضا والخشية والإنابة إلى الله عز وجل، لأن العالم إذا نوى بعلمه طلب الدنيا والرياء حبط عمله وتبدلت المثوبة في حقه عقوبة وعذاباً، وهو ما يدل على الأهمية الخاصة لعمل القلب.

وقد حث الله سبحانه وتعالى على طلب العلم لما له من اثر فعال، ونفع كبير، يعود على الذات الفردية والجماعية فقال الله لنبيه (ﷺ) ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (١) ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ (٢) ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ (٣) ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ (٤) ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (٥) (العلق: ١-٥).

ونستطيع ان ندرك ما تحويه هذه الآيات من دليل واضح على فضل العلم، وعلو منزلته، وأثره العظيم ومدى أهميته. ومن مقدمات هذا الدليل أن هذه الآيات هي أولى آيات القرآن الكريم نزولاً على النبي محمد (ﷺ)، وإنها جاءت في أول سورة نزلت على قلب النبي محمد (ﷺ)، وبدأت هذه الآيات بلفظ "اقرأ" الذي هو إحدى وسائل ادراك العلم، والحصول عليه، وقد حض النبي (ﷺ) على طلب العلم فقال

(عليه السلام): «طلب العلم فريضة على كل مسلم» (مجلسي، ١٩٨٣ م: ٦٧/٦٨)، وما نشاهده اليوم من المصنوعات والمخترعات الحديثة من سفن فضاء وصواريخ عابرة للقارات وطائرات أسرع من الصوت، ومنها من دون قائد، وقمر صناعي وعقل الكتروني، وغير ذلك من المخترعات الحديثة التي خدمت الإنسان المعاصر، كل ذلك دليل ظاهر، وبرهان ساطع، يشير إلى منزلة العلم واثره على البشرية.

بالطبع المقصود من العلم، هو العلم الذي يقود إلى الإيمان بالله وقبول وحدانية وعبادته. وهذا العلم عند مؤلفي تفسير المنار له مصدران رئيسيان: "المصدر الأول": الوحي الذي نزل على قلب النبي (ﷺ)، وكذلك السنة النبوية الشريفة التي من خلالها يتعرف العبد على الله وصفاته ويدرك الطريقة الصحيحة للعبادة ويتعرف على نتائج السير في هذا الطريق. "المصدر الثاني": هو الآيات الموجودة في الكون والتي من خلالها يمكن للإنسان أن يدرك عظمة الله ووحدانيته عن هذا الطريق؛ (انظر: رشيد رضا، ١٤١٤ هـ.ق: ٧/٥٠٠).

يعتبر "عبده" العلم سبباً لإصلاح الأمم، خاصة إذا كانت هذه المعرفة مصحوبة بالعلم والتربية فإنها تطهر القلب من الذنوب، وتزيل عنه العادات القبيحة، وتعوده على الصفات الحسنة. (انظر: نفس المصدر، ١/٤٧٤). إن معرفة الله تزيد من خوف الإنسان وطاقته، فكلما زادت معرفة الإنسان بصفات الله الكمال، كالعلم والقوة، زادت معرفته بالله سبحانه، وهذا في حد ذاته يتسبب في المزيد من طاعة الله، والخشوع أمام عظمة الله وجبروته. ومما لا شك فيه أن وعي الإنسان بالله يحمي قلبه ويزيد من تواضعه، ونتيجة لذلك تكون أعضاء الإنسان كلها في خدمة الله ووطاعته، وتقوم بالصالحات وتتجنب السيئات. (انظر: نفس المصدر، ٢/٧٤).

وعن أثر العلم في حياة القلب يقول "عبده": إن آيات القرآن تصف العلماء بأنهم مؤمنون بالقرآن، وهو القرآن الذي لا شك في صحته وهو الذي يزيد من إيمانهم، وثمرة هذا الإيمان «أن قلوبهم تخشع أمام معنى هذه الآيات وتقبلها» (نفس المصدر، ١٢/٥٨).

٥- الخشوع:

الخشوع من مصدر خشع يخشع خشوعاً بمعنى التواضع (انظر. ابي هلال، ١٤١٢ هـ.ق، ١/٢١٦، مصطفى، ١٢٤٨ هـ.ش، ٣/٦١). وقال الفيومي: «خشع خشوعاً

إذا خضع. وخشع في صلاته ودعائه: أقبل بقلبه على ذلك، وهو مأخوذ من خشعت الأرض إذا سكنت واطمأنت» (القيومي، ١٤١٨ هـ.ق: ٦٥). وقال الراغب: «الخشوع: الضراعة. وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح، والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب. ولذلك قيل فيما روي: إذا ضرع القلب خشعت الجوارح» (الراغب الأصفهاني، ١٤١٢ هـ.ق: ٢٨٣). فالخشوع، من الكلمات التي تكررت في آيات القرآن الكريم واعتبرها ضمن أعمال القلوب، وإضافة إلي ذلك وصفت بعض آيات القرآن الكريم الخاشعين بالصبر (البقرة: ٤٥). وأيضاً آيات أخرى وصفتهم بالمؤمنين بالله واليوم الآخر (آل عمران: ١٩٩)، كما أن الأرض وُصِفَتْ مجازاً بالخاشعة، وهذه الدلالة تشير إلى سكون وطمئنيانة الأرض. (الحنبلي، ٢٠٠١م: ١٠/٢). أيضاً وصفت بعض آيات القرآن الكريم الاصوات بالخاشعة (طه: ١٠٨). كما أن وجوه الكافرين يوم القيامة وصفت بالخاشعة (القلم: ٤٣).

الخشوع: ضراعة القلب، وطمأنينته وسكونه لله تعالى، وانكساره بين يديه، ذلاً، وافتقاراً، وإيماناً به وبلقائه. ومحل الخشوع: القلب، وثمرته: تظهر على الجوارح، ولذا قيل: إذا ضرع القلب، خشعت الجوارح، وذلك لأن القلب ملك البدن، وأمير الأعضاء، تصلح بصلاحه، وتفسد بفساده، فيمثل الخشوع إذن: الانقياد التام لأوامر الله ونواهيه، والعكوف على العمل من غير توانٍ، ولا فتور. الخشوع من الإيمان الذي هو في القلب، وإنما يزيد الإيمان بحياة القلب، وذلك بالاشتغال بالعلم النافع والعمل الصالح، كما أنه ينقص بمرض القلب، ويذهب بموته، وذلك بالانصراف إلى الشبهات والشهوات، فعلى المسلم أن يتعاهد قلبه في جميع أحواله ليدفع عنه القسوة فإنها إذا استبدت به منعت الخشوع.

وصف القرآن الكريم قلوب المؤمنين بالخشوع والاخبات لله، وتمحيصها من الشوائب، في حين وصف قلوب الكفار والمنافقين بالرجس والمرض والقسوة والزيغ، وعبر عن فقدانها للاستعداد للحق والخير بالطبع والختم والرين عليها، أي أنها كالمختوم عليه فلا يدخله شيء جديد (نفس المصدر، ١١/٢٥٢).

هناك ارتباط وثيق بين صلاح القلب وخشوعه ورقته، وبين ما يصدر من الجوارح من أعمال وما يجري علي اللسان. وصلاح القلب وخشوعه من أسباب قناعة النفس ورضاها. وما لاشك فيه أن القلب السالم والصالح يخشع لعظمة الله ونعمه.

فالخشوع: يكون في القلب، والبدن، والصوت، والبصر، فيظهر هذا على بصره، وجوارحه، وأصل الخشوع: هو الذل، والانقياد، فإذا قيل: خضوع القلب فهو ذل القلب، وإذا قيل: خضوع البدن فهو انقياده، واستسلامه.

وحسب مفسري المنار "الخشوع" هو ثمرة الايمان الصحيح الذي يعين على اتباع ما يقتضيه الايمان من العمل. فالخشوع أثر خشية الله تعالى في القلب، يفيض على الجوارح والمشاعر فيخشع البصر بالسكون والإنكسار، ويخشع الصوت بالمخافة والتهدج، كما يخشع غيرهما. (رشيد رضا، ١٤١٤هـ. ق، ٣١٧/٤). فحسب معتقد صاحب المنار، التأمل في آيات القرآن الكريم أحد العوامل الذي يجعل القلب يخشع أمام الله وعظمته. (انظر: نفس المصدر، ١١/١٩٨).

إذن، أهم اثر تربوي للخشوع في القلب هو لين القلب، وهذا اللين بدوره يصبح منشأ أعمال أخرى من ضمنها استعداد القلب لسماع الموعد وكلام الحق.

٢- أمراض القلوب وطرق الخلاص منها:

يمرض القلب كما يمرض الجسد؛ فإذا كان المرض يسبب ضعفاً في الجسم وأحياناً عدم القدرة على الحركة أو عدم القدرة على أداء بعض المهام اليومية الروتينية، تؤدي أمراض القلب أيضاً إلى عدم قدرة الشخص على معرفة الحقيقة أو الشك في الحقيقة وأحياناً يحارب الحق ويعاديه وينضم الي الباطل، ففي هذه الحالة ينحرف القلب عن طريق عبادة الله والطريق الذي حدده الله لعباده؛ وقد وصف القرآن الكريم بعض الفئات وخاصة المنافقين بمرض القلب (محمد: ٢٠، الأنفال: ٤٩، التوبة: ٧٧، احزاب: ٦٠).

أمراض القلب خطيرة للغاية، وعلاجها صعب مصتعب، ويندر طبها وطبيها. ومن هذه الأمراض التي تعتري القلب "الكفر". وقد وصف القرآن الكريم هذا المرض العضال بإسم "الرَّجْس" (انظر: الطوسي، د: ٣٢٦/٥). ووفقاً لآيات القرآن

الكريم، فإن القلوب المريضة هي محل وساوس الشيطان ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فَتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (حج: ٥٣). وحسب هذه الآية، فإن القلوب المريضة تجعل الإنسان فريسة للشيطان، وتوطن الشك في قلبه. فإن الشيطان يتسبب في خلق الكثير من الذنوب ومن ثم المصائب والآثار الناتجة عن هذه الذنوب للإنسان.

ومن أسباب صلاح القلوب وسلامتها، الحرص علي الإبتعاد عن أسباب فسادها وخرابها لأن كل ما يفسد القلب يجب أن يحرص العبد علي تجنبه والإبتعاد عنه، لأن القلب أعظم ما يملكه العبد، فإذا فسد القلب فسدت الدنيا والآخرة؛ ولا بد للمسلم أن يتعد عن الأسباب التي تؤدي الى خراب قلبه وفساده حتي يتمتع بقلب طاهر وسالم من كل عيب، فإن من أسباب صلاح القلوب تطهيرها مما يفسدها. ومن المؤكد أن من الأمور اللازمة في الحفاظ على إرتباط القلب بالله جل وعلا، تطهير القلب من الأمراض التي قد تصيب القلب.

١- النفاق:

يعتبر النفاق من أخطر الأمراض التي يمكن أن يصيب قلب الإنسان، فقد نزلت آيات كثيرة في القرآن الكريم عن النفاق والمنافقين، حيث يمكن القول أن المنافقين هم الذين وجهوا أشد ضربة للإسلام، فالكثير من من الرويات دلت علي أن النفاق أحد اعمال القلوب (انظر: السيوطي، ١٤٠٤هـ: ٥٠٥/٦، ابن عربي، ١٤٠٨ هـ: ٥٥٠/٢، سيد قطب، ١٤٢٥ هـ: ١٦٧٩/٣، قمي، ١٣٦٨ هـ: ٦٦٢/٢).

وما لا شك فيه أن النفاق ليس محدوداً بمكان وزمان محدد، فدائماً ما يكون هناك منافقون في المجتمعات البشرية يكون باطنهم قبيحاً خلافاً لظاهرهم الخلاب، إذ يحاولون إخفاء وجههم الحقيقي بالنفاق؛ نزلت في القرآن الكريم آيات كثيرة عن المنافقين وأعمالهم القبيحة، وتناولت آيات كثيرة من القرآن الكريم المنافقين كما جاءت سورة كاملة باسم "المنافقون".

وما لاشك فيه لتجنب وتفادي أي مرض، يجب أن تكون لدينا معرفة وفهم كافيين عن هذا المرض، وقد ذكر القرآن الكريم الكثير من صفات المنافقين وأفعالهم، ومن أهم هذه الصفات حب المال وحب الدنيا.

ويعتقد "صاحب المنار" أن النفاق حسب تأثيره ومكانته في القلب ينقسم إلى نوعين: النوع الأول من النفاق هو النفاق الخالص. فالنفاق المذكور في الآية ١٧ من سورة البقرة هو من هذا النوع، أي ليس هناك أمل بعودة المنافق من نفاقه: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (بقرة: ١٨). لقد أغلقت في هذا النوع من النفاق كل سبل العودة لطريق الصواب من هذه المجموعة المنافقة، ولهذا وصفهم القرآن بالصم والعمى: (انظر، رشيد رضا، ١٤١٤ هـ.ق: ١/١٧٢). ولا شك أننا لا نتحدث عن هذه الفئة في دراستنا، لأن التعليم لا يؤثر عليهم؛ لكن هناك مجموعة أخرى لم ينطفئ نور الإيمان تماماً في قلوبهم، ولا يزال هناك أمل في عودتهم، وبحسب تفسير المنار، فإن الآية ١٩ من سورة البقرة تدور حول هؤلاء الأشخاص الذين لم تعمى قلوبهم بعد (انظر: نفس المصدر، ١٧٣) أي من الممكن عودتهم بالدعوة والتربية هدايتهم وإرشادهم الى طريق الإيمان.

و في تفسيره للآية ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمُ لِلَّهِ﴾ (نساء: ١٤٦) لفت الإنتباه الى أنه عن طريق التوبة والتربية من الممكن التخلص من النفاق وغسل القلب من ظلامته؛ فقد عززوا هذه التوبة بثلاثة أمور: أحدها: الإصلاح وهو إنما يكون بالإجتهاد في أعمال الإيمان التي تغسل ما تلوثت به النفس من أعمال النفاق، كالتزام الصدق والنصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، والأمانة التامة، والوفاء، وإقامة الصلاة بالخشوع والحضور، ومراقبة الله تعالى وما اشبه ذلك. "ثانيها": الإعتصام بالله، وهو إنما يكون بالتمسك بكتابه، وتخلقا بأخلاقه وتادباً بآدابه، وإعتباراً بمواعظه، ورجاء في وعده، وخوفاً من وعيده، وإنهاء عن منهياته، واثتمارا بأوامره، بحسب الإستطاعة (رشيد رضا، ١٤١٤ هـ.ق: ٥/٤٧٥).

إذن وفق منهج صاحب المنار ينكشف لنا إمكان تربية القلب للتخلي عن النفاق، وإصلاحه من هذا المرض القلبي العضال.

لقد ذكر تفسير المنار بعض أسباب النفاق والطرق لعلاجها والخلاص منها، ومن هذه الطرق التحلي بصفات المؤمنين وتقوية هذه الصفات. فعادةً ما يتمتع المؤمنون ببعض الصفات مثل الشجاعة والإنفاق والتسامح، بينما يعرف المنافقون بالبخل وعدم الرحمة والخوف، «فالصلاة والزكاة، علاج لما في جبلة الإنسان من الهلع والجبن الحاجم له عن

الإقدام في الدفاع عن الحق وإعلاء كلمة الله، ومن الشح الصاد له عن الإنفاق في سبيل الله. ولذلك كان المنافقون أجبن الناس وأبخلهم» (نفس المصدر، ١٤١٤ هـ.ق: ١٠/٥٤٣).

وبحسب تفسير المنار فإن الجهل من أهم العوامل التي تجعل المرء يسقط في هاوية النفاق، وبنفس الوقت عادة ما يتهم هؤلاء الآخرين بالجهل. وكذلك حسب معتقد صاحب المنار فإن العامل الأساسي في نفاقهم، هو جهلهم لنتيجة الطاعة الصادقة للرسول صلوات الله وسلامه عليه، وإتباع نهجه ودينه وما يترتب عليه من آثار دنيوية وأخرية (انظر: نفس المصدر، ١/١٦٢).

فـ"العلم" عند "عبده" هو الأساس لكل موجود، وهنا نستطيع أن نلمح أسس تكوين نظريته التربوية الخاصة. والعلم الذي يطلبه عبده مرتكزاً على "الدين"، فيقول: العلم هو ما يبصر الإنسان في الغاية التي يطلبها، ويهديه إلى الحق الذي هو معقد النجاة... وهذا هو علم الحياة البشرية... العلم المحيي للنفوس وهو علم آداب النفس وكل أدب لها هو الدين (انظر: نفس المصدر، ١/٤٠٦). يبرز هنا دور "الدين" في تأديب القلوب وإحيائها، لأن العلم وحده ليس له القدرة على إشاعة الفضائل الخلقية كالثبات والصدق والتقوى. فالعلم يمكن الإنسان من معرفة ما يتوجب فعله ومن هذا المنطلق أكد مفسرو المنار على أهمية العلم في خلاص القلب من النفاق.

٢- الذنب:

وردت مفردة الذنب أو الإثم والمعصية في القرآن الكريم تحت مسميات مختلفة. عرفت القواميس اللغوية الإثم بما يمنع الثواب أو ما له عواقب سيئة؛ (انظر: ابن دريد، ١٩٨٧ م: ٢/١٠٣٦، ابن سيده، ١٩٩٦ م: ٤/٥٢، اندلسي، ١٤٢٢ هـ.ق: ٢/١٦٧، طباطبائي، ١٣٧٤ هـ.ش: ١٨/٣٨١). كما أنها تعني أحياناً الجريمة والقيام بعمل ممنوع (انظر: الجوهري، ٢٠٠٩ م: ١/١٢٩). الخشوع مقام الذلة والصغار وهو من صفات المخلوقين، وليس له في الألوهية مدخل وهو نعت محمود في الدنيا على قوم محمودين (انظر، ابن عربي، ١٩٩٩ م: ٢/١٩٣)؛ إذن، الله جل وعلا منزّه من صفة الخشوع، وإنما العبد يخشع ويتذلل.

جاءت المفردات المترددة للإثم في القرآن الكريم متمثلة في: "الحوب، الذنب، الجح، الخطيئة..."، و معني جميع هذه المفردات له صلة بمفردة الإثم (انظر: جليليان، ١٣٩٣ هـ.ش: ١٦٧). الذنوب مختلفه منها يخص الفرد ومنها يخص المجتمع بعضها تعتبر من الكبائر وبعضها من الصغائر لكل ذنب عقاب خاص و ايضاً علاج خاص.

الإثم من أمراض القلوب، وتأثير الذنوب على القلب لا يقل عن تأثير السم على الجسم. كما أكد العلماء ذلك، فإن الذنوب تبعد الإنسان عن طاعة الله وتتسبب في ظلمة قلبه؛ «فكما أن الحالة القريبة أو المقربة من صفاء القلب أفضل مما دونها، لا محالة فهكذا أعمال بحسب مراتبها في التأثير في صفاء القلب والدفع لما يجذبه إلى زخارف الدنيا، والطاعة والمعصية عند المتحققين بالعقائد الشرعية والقواعد الدينية إسمان موضوعان لباعث صفاء القلب وباعث كدورته وظلمته على درجاتها، إذ المعاصي من حيث التأثير في ظلمة القلب وقساوته تكون كبيرة وصغيرة ومتفاوتة جداً، وكذا الطاعات في تنوير القلب وتصفيته وترقيقه، فدرجاتها بحسب تأثيراتها، وذلك يختلف باختلاف الأحوال» (انظر: الشيرازي، ١٣٦٦ هـ.ش: ٩٤/٥).

هناك أسباب وعوامل مختلفة تدفع الإنسان إلى ارتكاب الخطيئة. والتعرف على هذه العوامل والتعامل معها والسياقات التي تخلقها يمكن أن تكون فعالة في القضاء على الخطيئة وآثارها. يرى "مفسري المنار" أن الإثم لا يعترى أعضاء جسم الإنسان فحسب، بل القلب هو أهم موطن للإثم، والذنوب تدخل القلوب أولاً ثم تنتقل إلى أجزاء أخرى من الجسم. الإقبال على طاعة الله والإعراض عن الشهوات هو الذي يجلي القلوب ويطهرها من الذنوب (انظر، رشيد رضا، ١٤١٤ هـ.ق: ٣٦٢/١١).

والجدير بالذكر أنه عندما تميل القلوب إلى الذنوب يدخلها النفاق والأمراض الأخرى. فقد ذهب مفسرو المنار في تفسيرهم للآية ٢٨٣ من سورة البقرة ﴿وَلَا تَكُونُوا الشَّاهِدَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ إِثْمٌ قَلْبُهُ﴾ أن "كتمان الشهادة" أحد الذنوب القلبية، والباب والمقدمة للذنوب الأخرى «فقد أمر الله الكتاب والشهود بأن يعينوا الناس على حفظ أموالهم، وحرّم عليهم أن يقصّروا في ذلك، كما أنه جل وعلا حرّم على أرباب الاموال أن يضاروهم، فلا بد من الجمع بين مصلحة الجميع. ولما كان الذي يدرك

الوقائع التي شهد بها ويعيها هو "القلب" وهو لب الانسان وآلة عقله وشعوره، كان كتمان الشهادة عبارة عن حبس ذلك فيه، ولذلك جعله هو الآثم أي هو موضع الإثم في هذا الكتمان وحده، وإلا فهو مصدر كل إثم. وهذا يدفع ما يزعمه الجاهلون من أن الإثم لا يكون إلا بعمل الجوارح وحركات الأعضاء الظاهرة» (انظر: رشيد رضا، ١٤١٤هـ.ق: ١٣٢/٣)، ووفقاً لذلك، من أجل تجنب الإثم، من الضروري بيان الشهادة الصادقة وإدراك حضور الله في الحياة. ومن الأمور التي ذكرها تفسير المنار لتربية القلب لترك المعاصي، هو تذكيره بالخوف من الله جل وعلا وحضوره جل وعلا الدائم في حياة الإنسان (انظر: نفس المصدر، ٣٤٥/٦)؛ ايضاً حسب رأي صاحب المنار، من الأمور الهامة في قبول التوبة وتعويد القلب على ترك الذنوب هو "العمل الصالح"، لأن العمل الصالح مما له الأثر المباشر في القلب، ويجعله مستعداً وممهداً لترك الذنوب. (انظر: نفس المصدر، ١٤٢/٣).

نتائج البحث:

من أهم النتائج التي توصلت اليها هذه الدراسة نلخصها كالآتي:
كان لعبده طريقته الخاصة في تفسير آيات القرآن والاستفادة منها، فقد كان الرجل رائداً في التفسير التربوي للقرآن كما أنه كان من رواد حركة الدعوة إلى الإصلاح والتقدم للأمة الإسلامية؛ يعتقد عبده أن أفضل طريقة لحل مشاكل الأمة الإسلامية تكمن في الرجوع إلى القرآن لتعليم الناس واصلاحهم، وقد اعتبر تربية قلب الإنسان مفتاحاً لذلك.

لقد كان لتفسير المنار منهجاً واضحاً ومميزاً للإصلاح القلب.
تناول تفسير المنار قضية القلب وتربيته بشكل وافٍ لأن القلب أهم عنصر وجودي في الإنسان فلا بد من إصلاحه وتنقيته.
للقلب معانٍ كثيرة، وجاء في القرآن بمعنى الروح، العقل و..، وتربيته لها دور أساسي في هداية الإنسان وصلاحه.
تطرق تفسير المنار للقلب وخصائصه في مواقف عديدة وبحث الطرق المناسبة لتنمية وتقوية الصفات الحميدة كالإيمان بالله تعالى والإيمان باليوم الآخر، وباقي الصفات الحميدة الأخرى.

اعتقد صاحب المنار بأن صلاح وتربية الأفراد والمجتمعات ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتربية القلوب وصلاحها.

لقد تطرق تفسير المنار في مواضع عدة للقلوب المريضة وبحث فيها تأثيرها علي سائر الأعضاء وكذلك بحث فيها طريقة التخلص من هذه الأمراض ومن العوامل التي تحيي القلب كتحصيل العلم وذكر الله وعبادته.

حسب رأي صاحب المنار فإن صلاح وتربية الافراد والمجتمعات ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتربية القلوب وصلاحها؛ كما إن هناك ارتباطاً وثيقاً بين تربية القلب وعمل سائر الاعضاء والجوارح.

للتربية فوائد جمة ويمكن للفرد والمجتمع أن يستمتع فيها في الدنيا ويحني ثمرها في الآخرة.

هناك أسباب عدة في تربية القلب، منها: العلم، والتوبة، واللجوء إلى القرآن، والابتعاد عن وساوس الشيطان.

قائمة المصادر والمراجع

- إن خير ما نبتدي به القرآن الكريم.
- نهج البلاغة.
- آلأوسى، محمود بن عبدالله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: عبدالبارى عطية، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.ق.
- أبوعبيده، معمر بن مثنى، مجاز القرآن، تحقيق: سزكين، فؤاد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨١ هـ.ق.
- ابوزهرة، محمد، زهرة التفاسير، دار الفكر، بيروت، الطبعة ١، د.ت.
- أبوحيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٢٢ - ٢٠٠١ م.
- أبي هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، قم، ١٤١٢ هـ.ق.
- ابن أبي الدنيا أبي بكر عبدالله بن محمد بن عبيد الله القرشي البغدادي، الإخلاص والنية، تحقيق: اياد خالد الطباع، دار البشائر، دبي، ١٩٩٦ م.

منهج تفسير المنار في تربية القلب (137)

- ابن بابويه محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، تحقيق: علي أكبر غفاري، جامعه ي مدرسين حوزة علميه، قم، ١٣٦٣ هـ.ش.
- —، عيون اخبار الرضا، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٤ م.
- ابن جوزي، عبدالرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: مهدي عبد الرزاق، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٢ هـ.ق.
- ابن عربي، محمد بن عبدالله، أحكام القرآن (ابن عربي)، تحقيق: علي محمد بجاوي، دار الجليل، بيروت، چاپ اول، ١٤٠٨ هـ.ق.
- —، ماهية القلب، تحقيق: قاسم محمد قاسم، دار المدي للثقافة والنشر، دمشق، ٢٠٠٩ م.
- —، الفتوحات المكية، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩ م.
- ابن دريد الأزدي أبو بكر محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٨٧ م.
- ابن سيدة المرسى أبو الحسن علي بن إسماعيل، المخصّص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الاولى ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م.
- ابن عاشور، محمد طاهر، تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، لبنان- بيروت، ١٤٢٠ هـ.ق.
- ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: شمس الدين، ابراهيم، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٢٣ هـ.ق.
- ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، طريق الهجرتين وباب السعادت، دار السلفية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٩٤ هـ.ق.
- ابن كثير، اسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، تحقيق: شمس الدين، محمد حسين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ١٤١٩ هـ.ق.
- ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ هـ.ش.
- الحنبلي أحمد بن رجب بن الحسن، روائع التفسير، تحقيق أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة، الرياض، الطبعة، الأولى ١٤٢٢ - ٢٠٠١ م.
- الجوهري اسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: محمد محمد تامر، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٩ م.
- السيد المرتضى، أمالي، تصحيح: السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم الطبعة الاولى، سنة ١٣٢٥ هـ.ق - ١٩٠٧ م.

منهج تفسير المنار في تربية القلب..... (138)

- اشكوري، محمد بن علي، تفسير شريف لاهيجي، تصحيح: محدث، جلال الدين، دفتر نشر داد، تهران، الطبعة الاولى، ١٣٧٣ هـ. ش.
- الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨ هـ. ق.
- القيومي أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٨ هـ. ق.
- الغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ومعه المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٦ هـ. ق.
- تهانوي محمد علي، اصطلاحات العلوم و الفنون، تحقيق: دكتور رفيع العجم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٩٦ م.
- التستري، سهل بن عبدالله، تفسير التستري، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٢٣ هـ. ق.
- حقي برسوي، اسماعيل بن مصطفى، تفسير روح البيان، دار الفكر، الطبعة الاولى، بيروت، د. ت.
- الخطيب الشربيني، محمد بن احمد، تفسير الخطيب الشربيني المسمى السراج المنير، تحقيق: شمس الدين، ابراهيم، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، طبعة الاولى، ١٤٢٥ هـ. ق.
- السيوطي، عبدالرحمن بن ابي بكر، الدر المنثور في التفسير بالماثور، كتابخانه عمومي حضرت آيت الله العظمى مرعشي نجفي، قم، الطبعة الاولى، ١٤٠٤ هـ. ق.
- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، الطبعة الخامسة والثلاثين، ١٤٢٥ هـ. ق.
- سلطان علي شاه، سلطان محمد بن حيدر، بيان السعادة في مقامات العبادة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٨ هـ. ق.
- السمرقندي، نصر بن محمد تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، تحقيق: عمرو، عمر، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦ هـ. ق.
- الشيرازي صدرالدين محمد بن ابراهيم، تفسير القرآن الكريم، بيدار، قم، ١٣٦٦ هـ. ش
- الصنعاني، عبدالرزاق بن همام، تفسير القرآن العزيز المسمى تفسير عبدالرزاق، دار المعرفة، بيروت، ١٤١١ هـ. ق.

منهج تفسير المنار في تربية القلب..... (139)

- الراغب اصفهاني، حسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق، داوودي، صفوان عدنان، دارالشامية، بيروت، ١٤١٢ هـ. ق.
- رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٤ هـ. ق.
- الزبيدي، محمد رضا محمد مرتضي الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: حسين نصار، كويت، ١٩٦٩ م.
- الزمخشري، محمود بن عمر، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، تصحيح: حسين احمد، مصطفى، دار الكتاب العربي، لبنان- بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ. ق.
- الفراهيدي خليل بن احمد، كتاب العين، تحقيق: عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢ م.
- الفراء، يحيى بن زياد، معاني القرآن (فراء)، تحقيق: نجار، محمد علي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، قاهره، ١٩٨٠ م
- الفخر الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة الثالثة، ١٤٢٠ هـ. ق.
- فضل الله، محمد حسين، من وحى القرآن، دار الملاك، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤١٩ هـ. ق
- القرطبي، محمد بن احمد، الجامع لأحكام القرآن، ناصر خسرو، تهران، ١٣٦٤ هـ. ش
- القرشي بنابي، علي اكبر، قاموس قرآن، دار الكتب الإسلامية، تهران، الطبعة السادسة، ١٣٧١ هـ. ش.
- القمي المشهدي، محمد بن محمدرضا، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، تحقيق: حسين درگاهي، وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامي، تهران، الطبعة الاولى، ١٣٦٨ هـ. ش.
- القمي، علي بن ابراهيم، تفسير القمي، تحقيق: موسوي جزايري، طيب، دار الكتاب، قم، الطبعة الثالثة ١٣٦٣ هـ. ش.
- الكاشفي، حسين بن علي، جواهر التفسير، تحقيق: عباسي، جواد، مركز پژوهشي ميراث مكتوب، تهران، الطبعة الاولى، ١٣٧٩ هـ. ش
- الكليني الرازي، ابي جعفر محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق: علي اكبر غفاري، مؤسسة دار الكتب الإسلامية، تهران، ١٤٠٧ هـ. ق.
- الكوفي، فرات بن ابراهيم، تفسير فرات الكوفي، تحقيق: كاظم، محمد، وزارة الثقافة و الإرشاد الإسلامي، مؤسسة الطبع و النشر، تهران، الطبعة الاولى، ١٤١٠ هـ. ق.
- الطبرسي، فضل بن حسن، تفسير جوامع الجامع، تصحيح: گرجي، ابوالقاسم، الحوزه العلمية في قم، مركز مديريت، قم، طبعة الاولى، ١٤١٢ هـ. ق.

- الطريحي، فخرالدين بن محمد، مجمع البحرين، تحقيق، حسيني اشكوري، احمد، مرتضوى، تهران، الطبعة الثالثة، ١٣٧٥ هـ. ش
- الطوسى، محمد بن حسن، التبيان في تفسير القرآن، تصحيح: احمد حبيب عاملى، دار إحياء التراث العربي، لبنان- بيروت، طبعة الاولى، د.ت.
- الطباطبايى، محمدحسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان- بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ. ق
- الطبري محمد بن جرير، جامع البيان فى تفسير القرآن (تفسير الطبرى)، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٢ هـ. ق
- عبدالباقى محمد فؤاد، المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم، دار الكتب المصريه، القاهرة، ١٣٦٤ هـ.ش.
- المراغى، احمد مصطفى، تفسير المراغى، دار الفكر، بيروت، الطبعة الاولى، د.ت.
- محمد عماره، الأعمال الكامله للشيخ محمد عبده، دار الشروق، القاهرة-بيروت، ١٩٩٣ م.
- المجلسي محمد باقر بن محمد تقي، مرآة العقول، دار الكتب الإسلامية، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤ هـ.ق.
- —، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق: غفاري، علي اكبر، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣ م.
- مصطفوى حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامي، طهران، ١٢٦٨ هـ.ش.
- مغنيه، محمدجواد، التفسير المبين، دار الكتاب الإسلامي، قم، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥ هـ.ق.
- فيض كاشاني، محمد بن شاه مرتضى، المحجة البيضاء، مؤسسه النشر الاسلامي، قم، الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ.ق
- مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: شحاته، عبدالله محمود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٣ هـ.ق.
- جليليان حميد - سيد ابو الفضل حسيني بناب، بررسي واژه هاي مشترك معنوي مربوط به گناه در قرآن، سراج منير، السنة الخامسة، العدد ١٧، شتاء ١٣٩٣ هـ.ش.
- خاني حامد، تبارشناسي انگارهي قرآني قلب، فصلية محكمة پژوهشنامه ي تفسير و زبان قرآن، العدد، ربيع و صيف ١٣٩٨ هـ.ش.
- دلبري محمد، دلالت هاي تربيتي معناشناسي «قلب» در قرآن كريم، دو فصل نامه علمي- پژوهشي پژوهشنامه تفسير و زبان قرآن ال، خريف و شتاء ١٣٩٥ هـ.ش.
- سيد پور آذر سيدحسن، غضب عامل تباهي قلب، فصلية محكمة پژوهشنامه ي اخلاق، السنة الرابعة، خريف ١٣٩٠ هـ.ش.